

لا تستأذن: إلى محمد الماغوط



فوق أرصفةٍ تبتُّنا كأمومةِ الثَّوراتِ

تُفرِّغُ القناديلُ حُمولَها الصَّوئيَّةَ

_ قشدةٌ تُهدِّدُ حليبَ الرُّوحِ _

فتتكشفُ صفاؤُ الشَّوارِعِ

كأكْفٍ الهوى إذا اضطَّربَ

وهنا..

على مقرَّبةٍ من آخِرِ مرآةٍ غادرتْ

تُخفي دمعهُ بُبُوَ العَرَبِ كأنَّه الكُسوفُ

وتلتحقُ خطوائُهُ الهادِرةُ بحزبِ العُبارِ:

[يُلِمُّمُ الكُرومَ في كأسِ حُلُمٍ

يُعَبِّئُ الفراغَ في رُجاجةٍ

يُدحرجُ الأرضَ على الأرضِ

يُطَلِّقُ السَّماءَ نجمةً نجمةً

يبصِّمُ على صدرِ كوكبٍ قصيٍّ

وينهضُ.. مُترلِّجاً فوق الغيومِ]



...

لم تخلف عقاربُ ساعته عن أسنّة الرّماحِ

لكنّه كان يُرّزُّ معطفَ الرّيحِ بالمشاعرِ

فأرّشاً ذكرياته على ورقِ الرّوزنامة

كأنّ كلّ ما صنعت يده

فخّاره سرابٍ مُحقّقٍ

ونحيبه عطرٌ تتأبّطه الليالي

وتُطلّقه..

كالصرخة في الكونِ

كالأغريد المُجنّحة.. كالأيّام..

كالخارات خلعت سراويلها الإسمتيّة

مُتيمّمة بخمى شعراء

ذبّخوا أعمارهم في أنخابِ القصائدِ

وهاؤوا في نظراتهم الغائرة

أبحرّة بين أعصان الغوايات.

لا تستأذن: إلى محمد الماغوط



...

لم يعُثر على وسادةٍ "نيئةٍ كالماء"
لكنَّه توخَّى حِصْنًا في الفِرَارِ العَاصِبِ
كالمقاهي..

قدَفَتْ عن طَهرِها
كُلَّ الكَراسِي والطَّاولاتِ والزَّرائِنِ
رَمَتْ خَارِجَ حَمَّالَتِ أَثْدَائِها
كُلَّ المَشاريعِ والأحلامِ المُتراكِمَةِ
ومَضَتْ إلى رَجَمِ الصَّحراءِ
جامِعَةً على طولِ الطَّرِيقِ
ما سَقَطَ سَهْوًا
من كُسالى المُدِنِ
ومن فُقرائِها الأبطالِ
بشرَرائِهم الرَّاحِقَةِ تحتَ شَرايِينِها
بُكُسورِهم الخَفِيَّةِ بَيْنَ العُيُونِ

لا تستأذن: إلى محمد الماغوط



ومظلاتٍ سجائرهم الدُّخانيَّةِ

حيثُ بلادُ تشيفُ خلقه

وتتنفِضُ "سمكه سانتياغو ضخمة"

في دورةِ الموجِ

صاعداً حُرُوبَ الحناجرِ

صُعودَ اللِّقاءِ، أو صُعودَ الهاجسِ

صُعودَ الدُّموعِ في تَواغيرِ الدَّاكرةِ

كأنَّه:

بُرتقالُهُ مِدادٍ أخضرَ

وشنبلةُ مُستنْفِرةٍ في الأفقالِ.

...

على الأريكةِ الكُحليَّةِ

حيثُ يقومُ المِزاجُ المارقُ ببعضِ جولاتِه

لا يُفرِّقُ النَّهارُ نفسَهُ عن اللَّيلِ

والسَّماءُ أَقْرَبُ من تجاعيدِ مُرَصَّعةٍ بالسُّعالِ

لا تستأذن: إلى محمد الماغوط



هناكَ يبدأ الحنينُ الدَّاءَ كالباعةِ الجَّوالينَ

يموءُ حيُّ المزرعةِ تحتَ شَرشِفٍ

تشمَّعتْ غلاصمُهُ بالفوصَى

وبهرَّعُ اللهُ باكيًّا؛

مُتَعَكِّزًا كافَ التَّشْبِيهِ المُشْتَعَلَةِ

كُبُروقي ذاتُ جِنٍّ.

...

على الأريكةِ الكُحْلِيَّةِ

الألوانُ تتبادلُ مُناوِباتِها

والقصائدُ أقلُّ شاعريَّةً من الشَّاعِرِ

الأوردةُ تنكِمِشُ على ذاتِها

كدَّوائرِ المطَّاطِ في الحرَّارةِ

والأدويةُ المُتَراحِمَةُ فوقِ المِنَصِّدَةِ

تتداقُعُ على بَوَّابَةِ قَلْبِكَ

خاتمةُ كُلِّ المُتَسَمِّرينَ في العام 1957

لا تستأذن: إلى محمد الماغوط



على شُبَّانِكِ تَذاكِيرِ سِينِما

كَأَنَّ تَنْثُرَ دَهَشَتِها كَالِياسَمِينِ.

...

قَاحِلُ هَذا الِوِجُودُ

مِثْلَ تَعْلِيمَاتِ طَبِيبَةٍ تُحَاصِرُ وَجِبَةَ الفُطُورِ

مِثْلَ كَرَسِيِّ مُتَحَرِّكِ يَفْتَحِرُ بَمَنْ يَحْمِلُ مِنْ نَدَى جَرِيحِ

وَحِيدُ صَوْتِ المِذْيَاحِ كَالجَّاثِمِ فِي بئرٍ مَنَسِيَّةٍ

أَبْوَاقُ السَّيَّاراتِ العَايِرَةِ فِي الخَارِجِ

أَمَّهَاتُ يَنْفُضَنَّ الوَسَاوِسَ

وَيُمسِدَنَّ حَرَائِقَ الرَّعَشَةِ الغَامِصَةِ

السَّقْفُ الْمُتَهَالِكُ أَصَدَقُ مِنْ مِئَةِ خُطَابٍ رَثَّانِ

وَالجُدْرَانُ أَحَبُّ مِنْ أَلْفِ صَدِيقٍ.

...

لِبُصَاقِكَ المَكْلُومِ مَوَاعِيدُ دَامِيَةٍ فِي الطَّشْتِ

تَخْلَعُ الأَمَاسِي أَقْنَعَتِها

لا تستأذن: إلى محمد الماغوط



وتذهبُ لمُراقصةِ القَهرِ المُضيءِ

ومرّةً تلوَ مرّةٍ

يتعرّقُ الفُئُ بمَسامٍ مُلتبِسةٍ

وتهجُرُ السّناجِبُ مَجازِياتِها

حيثُ يتمدّدُ الرّملُ تلالاً تلالاً.

...

/ السّجائرُ سنواتُ احتَرَقَتْ من قَبْلُ

لكنّ الويسكي موعظةٌ لثَرشيقِ الجَنّةِ /

...

كُلُّ شَيءٍ يُزَوِّدُ "حدَبَةَ العُصفورِ" بالثَّرْقِ

وقريباً مِنَ الأثيرِ إِذْ يَفْتِيهِ الرّفْضُ

يقطُفُ بستانُيو المَدَى يمامةً نارٍ

يصيغونها بترجسِ الصّوتِ المُملحِ بالأعاصيرِ

وبها..

يرفَعونَ الشَّمسَ بكَرّةِ خيطانٍ

لا تستأذن: إلى محمد الماغوط



مُتَدَلِّيَّةٌ من أناملِ الحُرِّيَّةِ.

...

... أو رُبَّما يُحْضَوْنَ أَشْعَّةَ لم تولدْ بعدُ

مُتدافعينَ على جُسُورِ نَايَاتٍ ريفيَّةٍ

يَعْبُونَ نكهةَ التَّشْرِيدِ

وَيَتَمَلُّونَ حَتَّى صَهيلِ الأفاحي اليابسةِ

في العِظَامِ.

...

... والْبَعِيدُ في بَراكِينِهِ

بَعِيدُ في المَنَاطِيرِ المُقَرَّبَةِ..

ولا يَعرِفُ أبداً

كم أَلَمًا حَصَدَ

في زَنَازِنَةِ الأرضِ

والجُوِّ الغَائِمِ

لا يَكادُ يَصحو

لا تستأذن: إلى محمد الماغوط



حَتَّى يَتَغَيَّرَ

بعباءة حُزْنِهِ الْبَاسِقِ.

...

كم كُنَّا بِحَقَرِ بَدَمِهِ

لَيَعْرِفُوا..

كَيْفَ جَنَحَتْ بِأَخْرُهُ شِعْرِهِ

خَارِجَ مَخَالِبِ الْمَوْتِ

كَيْفَ غَادَرَ سِرْبُ الْمَطَرِ

عُشْبَ يَدِيهِ

وَأَصْبَحَ جَبْرُ الْعَالَمِ

كُلُّ الْعَالَمِ

مُسْتَنْقَعٌ مَشَائِقَ وَجُنُونٍ.

...

فِي الْعُزْلَةِ الْوَاهِتَةِ مِثْلُ جَنَاحٍ أَعْرَلَ

فِي مِرْقِ الْوُرَيْقَاتِ الْمُسْتَعْدَّةِ لِلنَّشْرِ

لا تستأذن: إلى محمد الماغوط



على رُفْمٍ من غيابٍ مُضَاعَفٍ

في تَرْجُحِ الْوَجْدِ الْبَطِيءِ

كَالسَّحَالِي فِي ظَهِيرَةِ مُمَلَّةٍ

فِي نَسِيجِ السَّأَمِ الثَّقِيلِ

كَالسَّوَادِ عَلَى طُهورِ عَقَارِبَ لَيْمَةٍ:

تَكُونُ..

...

فِي كُلِّ طَرَفَةٍ بَابِ مُبَاغِتَةٍ

فِي يَقْطَةِ الصَّوْتِ الْأَجَشِّ مُتَحَقِّراً

كَالْمُحَاصِرِ بَيْنَ الْأَسْلَاحِ

بِانتِظَارِ مِفْكَاتٍ طَوْعِيَّةٍ قَدْ تَشَحَّدُهَا الْحَيَاةُ

إِنْ بَقِيََتْ فِيهَا مُفَاجَأَةٌ:

تَكُونُ..

...

فِي عَاصِفَةٍ مُرْهَقَةٍ لَا تُغَيِّرُ طَرِيقَهَا

لا تستأذن: إلى محمد الماغوط



ألو.. أهلاً

ألو.. سيلاً:

تكونُ..

...

في الوطنِ المُلتصِقِ بالنَّأيِ

كالنَّيَابِ بالجسدِ الحَسَدِ

في التَّمَرُّغِ بالسَّيَةِ الهَزَائِمِ

والتَّنَكُّرِ للطَّعَنَاتِ بكبرياءِ

بينَ جَوَاسيسِ الجَرَايِدِ وأشواكِ السَّعَارَاتِ

وَقُرْبِ أَطْيَافِ التَّمَرُّدِ وعَرَبَاتِ الْمُعْتَقَلَاتِ العَسْكَرِيَّةِ:

تكونُ..

...

في حُشودِ عبدِ الناصرِ الشَّارِدَةِ

وتعليقِ السَّرَاجِ زَقَزَقَاتِ الحَدَاثَةِ

على أعمدَةِ الدُّعْرِ

لا تستأذن: إلى محمد الماغوط



في نُزولِ كمال خير بك

من الصُّورةِ إلى القلبِ

ومن القلبِ إلى الدَّمعِ

وفي رقصةِ سنيّةِ الجنائزيّةِ

مُتواليةً من عُروبٍ كتقمُّصٍ عذبٍ تائهٍ:

تكونُ..

...

في العِرابَةِ البنفسجيّةِ

ورسائلِ العِرفانِ الأخيرةِ

للمُعَلِّمِ سليمان عوّاد

في البريدِ المُمَوِّه

بينَ مجلّتي شِعْر والآدابِ

في المُصافحةِ الحارّةِ المشلولَةِ

بينَ دمشقَ وبِروتَ

في الظُّهورِ الكافرِ لسيّابٍ منهوبٍ

لا تستأذن: إلى محمد الماغوط



وفي "خَوَاتِمِ" أنسي النّحيلة كالينابيع:
تكونُ..

...

في الندماء الذين استيقظوا
فجأةً في حانة الرأسِ
وقد عَشَّشَتْ أمانيتهم المكسورةُ
في حُطامِ التّوافدِ
حيثُ لا يُمنَحُ الرُّؤاى
إلّا مزيداً من نياشين الوحدةِ
ولا يُقطّرون سوى الجِدادِ:
تكونُ..

...

قربَ شجرة المعرفةِ
حيثُ أغرَتْ حواءُ آدمَ
بُفّاحةٍ نثرِ

لا تستأذن: إلى محمد الماغوط



وتملّصَ (جاحظونَ) جدُّ

قبلَ سُقوطِ المَكْتَباتِ عليهم

وسُقوطِ بغدادَ علينا:

تكونُ..

...

عندَ إشارةِ المُروِرِ

في تشابهك المُرتجّةِ

كآلامِ ساحةِ المالكي

في أرجوانِ المراكبِ الأوغاريّيةِ

وغرقِ ديوانِ المُتنبّي

بينَ دجلةَ والفُراتِ:

تكونُ..

...

/ ... وتكونُ حيثُ لا يكونُ أحدُ:

في دمشق؛

لا تستأذن: إلى محمد الماغوط



يَوْمَ لَنْ يُودَّعَكَ سِوَى بَرْدِي الْمُحْتَضِرِ

حَيْثُ الْغَرِيبُ يَسْنُدُ الْغَرِيبَ بِوَرْدَةٍ

حَيْثُ الْمُخْتِنِقُ هَوَاءُ الْمُخْتِنِقِ

وَالْخِذْلَانُ شَرَابُ السُّوسِ

مُنْسَكِبًا كَقَصَائِدِ غَزَلٍ

فِي أَقْدَمِ أَرْقَةِ التَّارِيخِ /

...

/ ... وَتَكُونُ حَيْثُ لَا تَكُونُ سَكِينَةً:

فِي سَلْمِيَّةَ؛

يَوْمَ تَهْرُولُ فِي مُنْتَصَفِ الْعَيُوبَةِ

كِي تُشَدَّ أَرْزَ ابْنَتِهَا الْقَاهِرَةِ

تُتَمِّ تَمْضِي إِلَى صَحْرَائِهَا الْمُوحَشَةِ

كَنَجْمَةٍ مَثْقُوبَةٍ بِفِلَسْطِينَ

الْجَدَائِلُ قَدْ تَوَوَّبُ

وَلَا تَوَوَّبُ الْقُبْلُ الْمُعْتَقَةُ /

لا تستأذن: إلى محمد الماغوط



...

حيثها.. فقط..

تُغادر أريكتك الكُحليّة

للمرّة الأخيرة

فتُغادرُك مُستنسيخةً ما ضاقتُ بهِ الخَلايا

مُتلهّفةً كحَقْلِ حَارِجٍ لِلتَّو من سجنِ المرّة

وخالدةً كعَجَزِ اللُّغَةِ عن وَصْفِ شامٍ وسُلافةٍ في عَيْنِكَ

فاتحةً شِفَاءً في أرواحِ الصّالون

ومُخبّنةً أعمالَكَ الكاملةَ

كوَشمٍ بدوّيٍّ على كَعَبٍ آخيلٍ

قافزةً من الشُّرْقَةِ إلى الشَّوَارِعِ الرَّحْبَةِ

ومُدْرَجَةً سَجَائِرَكَ معها

رافضةً أن يُروّضَهَا أَحَدٌ بعدَكَ

أنتَ الذي لم تَنَمَ بيجامُتَكَ

إِلَّا على صَهْوَتِهَا كالْفُرْسَانِ.

لا تستأذن: إلى محمد الماغوط



...

/ ... والآل.. أخيرهم..

وأخير ذوي الوجوه الحجرية

لماذا تصفهم نسمة كل مساء..!!؟

أما علموا..

أنها تبحث عن هياكل الأحلام المسروقة

لتنثرها..

فوق مصابيح السّاهرين على صحّة قصيدة..!!؟ /

...

والآن.. ككلّ آين..

دأبك كدأب الغرباء الرّاسخين في الأفق

قلبك مدينة هجرة

انتصبت عماراتها على أعواد ثقابك

نبضك فيضان

يلتف كخاو على أسوار الحديد

لا تستأذن: إلى محمد الماغوط



وقد "تمتِهِنُ الفرَحَ" _ ذاتُ أغنيةٍ _

أو ترتدي رحيقاً

لُذِيْبَ غَابَةٍ خرساءَ

وعلى جانبِي سُطُورِكَ

تُنجِبُ

دُفلى

عاشقُهُ

صرختها:

[لا تستأذنُ ملاكَ الكتابةِ

ولا تمضِ..

إلى

قُطبِ

الصَّمتِ

الجنوبيِّ .]



كُتِبَت الصِّيْغة الأولى من هذه القصيدة في العام 1997 إثر وعكةٍ صحَّيةٍ ألَمَّت بالشَّاعر الرَّاحل محمَّد الماغوط دخلَ على إثرها إلى المُستشفى، وأهداها المُؤلِّفُ لهُ شخصيًّا في منزله بحيِّ المزرعة الدمشقيِّ في شُباط 1998. ثُمَّ أعادَ المُؤلِّفُ صياغَتها خلالَ فتراتٍ مُتفرِّقةٍ حتَّى العام 2005، حيثُ أخذتُ أخيراً هذا الشَّكل المَنشور هُنا.

الكاتب: مازن أكثم سليمان